ولا شك أن الأدب الصوفي في أكثره أدب يعبر عن الإسلام ويستمد منه ويرجع إليه، وما نلمحه فيه من معان فلسفية، وحكم غير عربية حينا، ومن تأثر بالثقافات الدخيلة المترجمة إلى العربية حينا آخر، فإنما ذلك إلى ثقافات الصوفيين التي كانوا يقرأونها، وإلى نفس المتصوف وحده، وليس لذلك من أثر في الأدب الصوفي إلا اتساع المعاني أمامه، وتناوله لكل الأفكار القديمة والطريفة التي يسوغ له ذوقه أن يتناولها.

فذو النون المصري كان صاحب ثقافة واسعة، وإلمام بالفلسفة اليونانية، وبخاصة الأفلاطونية والحديثة.

وكان أبو العتاهية يدعي العلم بفلسفة اليونان، وكان الحلاج يعرف الكيمياء والطب، وذا معرفة واسعة بالمسيحية واليهودية.

والجيلاني (٨٢٠ هـ) يستعين بالفلسفة اليونانية بين الحين والحين، في كتابه "الإنسان الكامل" كما كان يفعل ابن عربي من الأخذ من الفلسفة اليونانية أيضاً.

فعبد الكريم الجيلاني أو الجيلي يدور كتابه حول ما يجب أن يعرف المريد من ألوان الثقافة الصوفية، وهو يستعين فيه بالفلسفة اليونانية من حين إلى حين.

ويقول الإمام الغزالي في الإحياء: الصوفية ظفروا بحسن المتابعة للرسول ρ في أقواله

مميزات النثر الصوفي[1]

(TASAVVUF EDEBİYATININ TEMEL ÖZELLİKLERİ)

النثر الصوفي باب واسع جداً، عريض وطويل للغاية، وهو خلاصة عقول مؤمنة متصوفة منذ بدء التصوف حتى اليوم، ومن البدهي أننا في حديثنا عن الأدب الصوفي نثره وشعره على السواء لا نغفل خصائص الأدب العربي في مختلف العصور البيئات، ولا نطرح أحكام الدرس الأدبي، من اختلاف في الإيجاز والإطناب، أو من ميل إلى الصنعة البديعية أو إعراض عنها، وغير ذلك، ولكن لأن هذه الأمور معروفة من دراسة الأدب العربي بمعناه العام، فسوف لا نعرض لها ونكتفي بالمميزات الخاصة التي ميزت الأدب الصوفي عن غيره.

ولطول العصور الأدبية يمثلها الأدب الصوفي، وهو يبدأ من القرن الثاني الهجري حتى القرن الرابع عشر الذي نعيش فيه، فسنغفل ذكر الخصائص العارضة، والمميزات التي تعود إلى الكم، ونكتفي بالخصائص الجوهرية، وبما يعود إلى الكيف وحده.

وقد نشأ فن علمي جديد سمي فن المناقب، وقد ذاعت كتب المناقب ذيوعا كبيرا. وهي تتعرض لمناقب الأولياء والصالحين من الصوفية وبخاصة في عصري المماليك والأتراك. كما ذاعت كتب طبقات الصوفية وكثر التأليف فيها.

---

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب، ص. ٧٥-٨٢.

يتجردوا منها تماما، ومبنى التصوف الإسلامي الخالص يشترط فيه: أن يكون مؤسسا على صريح الكتاب وخالص السنة، وهذا شرطه عند أهل الأوائل الذين منهم الصحابة وتابعوهم وأئمة هذا الدين ممن ذكرنا أسماءهم.

فالمتصوف الإسلامي علم لما في الشريعة الإسلامية من أحوال ناتجة عن الإسلام والإيمان: كالإخلاص، واليقين والتقوى، والمراقبة، وغير ذلك، ولا نستبعد في الوقت نفسه أن يدخل على التصوف الإسلامي بعض التصوف الأجنبي، ولكنه لا يكون تصوفا إسلاميا خالصا كالشرط الذي درج عليه من قدمنا من أئمة المسلمين. وكان تصوفهم تصوفا إسلاميا خالصا، وأصول التصوف محفوظة في كتب أهله الذين استنبطوه من الشريعة كتابا وسنة وفقها. وكان مستمده الأول: القرآن كما قدمنا، وكما سنورده من أدلة، وكان قدوة أهل التصوف فيه محمداً وآله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان، ولم يغيروا في أصول دينهم –ظاهره وباطنه– شيئا.

والسلف من الصوفية كانوا زهاداً صالحين أهل علم وعمل، وقال ابن الجوزي : وقد كان أوائل الصوفية يقرون بأن التعويل على الكتاب والسنة، وروى بإسناد عن أبي يزيد البسطامي (٢٦١هـ) أنه قال: من ترك قراءة القرآن، والتقشف ولزوم الجماعة، وحضور الجنائز، وعيادة المرضى وادعى بهذا الشأن، فهو مبتدع. وقال الحسين النووي (٢٩٥هـ) لبعض أصحابه من رأيته يدعي مع الله عز وجل حالة تخرج عن حد علم الشرع فلا تقربنه، ومن رأيته وأفعاله، فقاموا بما أمرهم به، ووقفوا عما نهاهم عنه.

ويقول السهروردي في "عوارف المعارف": بعد عهد الرسول وخلفائه الراشدين مالت خلافة النبوة إلى أن تكون دولة سياسية وملكا عضودا، وانقسم أهل ذلك العصر عدة أقسام: قسم باشر هذه الفتن وزج بنفسه فيها طلبا للخلافة وولاية الحكم، وقسم حاربهم ورأى نفسه أحق به منهم، وقسم محايد رأى أن من شرائط الإسلام ألا يزج بنفسه في هذه الفتن وأن يحايد حتى تنجلى، مثل ابن عمر، وأبي ذر، وعكاشة".

ومنهم أيضاً من زج بنفسه في غمارها وهم الشيعة وقد أسموا أنفسهم بالعلويين تعصبا لعلي، وعنهم تفرعت الطائفة الإسماعيلية وهي من أخص الشيعة تطرفا، وقد أسموا أنفسهم باطنية، وبذا حصل اللبس، وأدمجهم من لا يعلم ماهية التصوف في زمر الصوفية.

وكان ممن يعتبرون صوفية في عصر بني أمية وما بعده: الزهاد، والعباد، والنساك: كعمر بن عبد العزيز وغيره من أئمة الفقه والشريعة: كمالك، وابن حنبل، والشافعي، وأبي حنيفة النعمان، وابن سيرين، وبشر الحافي. ولأولئك جميعا أحوال جليلة وأقوال تنسب إليهم في التصوف ولغيرهم جمع كبير...فما نسميه تصوفا إسلاميا إنما هو تصوف إسلامي سدى ولحمة بصرف النظر عن الثوب الذي أدخله هؤلاء الدخلاء على شريعة الإسلام وهم متسمون بالفعل ببعض طقوس وتقاليد شرائعهم التي لم

المتقدم، ونحن لا نبحث عن العوارض المشتركة بين الأدب الصوفي وغيره، وإنما نبحث عن المميزات الأصيلة له، والسمات الواضحة فيه.

وللصوفية الكثير من الأدب العالي في المناجاة الإلهية، يقول ذو النون المصري (٢٤٥هـ): "إلهي ما أصغيت إلى صوت حيوان، ولا إلى حفيف شجر، ولا خرير ماء، ولا ترنم طير، ولا تنغم ظل، ولا دوي ريح، ولا قعقعة رعد، إلا وجدتها شاهدا بوحدانيتك، دالة على أنه ليس كمثلك شيء". ويقول زكي مبارك:

ومن أنت يا ربي؟ أجبني، فإنني
رأيتك بين الحسن والزهر والماء

وللصوفية الكثير من أدب الحوار البليغ، والحكمة الصادقة، والتجربة الواسعة والخبرة العميقة بالحياة والنفس الإنسانية. "قيل لابن السماك: ما الكمال؟ فقال: الكمال أن لا يعيب الرجل أحداً بعيب فيه مثله، حتى يصح ذلك العيب من نفسه، فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس، وأن لا يطلق لسانه ويده حتى يعلم أفي طاعة أم في معصية؟ وأن لا يلتمس من الناس إلا ما يعلم أنه يعطيهم من نفسه مثله، وأن يسلم من الناس باستشعار مداراتهم وتوفية حقوقهم، وأن ينفق الفضل من ماله، ويمسك الفضل من قوله". (...)

وقد أثّر التصوف الإسلامي في الفكر العربي تأثيراً كبيراً، وعدّ هو الفلسفة الروحية في الإسلام، وامتد تأثيره إلى الفكر الأوربي فألف المستشرق الأسباني بالاسيوس [Miguel Asín يدعي حالة لا يدل عليها دليل، ولا يشهد لها حفظ ظاهر، فاتهمه على دينه. وعن أبي بكر الشفاف: من ضيّع حدود الأمر والنهي في الظاهر حرم مشاهدة القلب في الباطن...ويقول ابن الجوزي : وما كان المتقدمون في التصوف إلا رءوسا في القرآن والفقه والحديث والتفسير، وذكر أنه إذا طهر القلب انصبت عليه أنوار الهدى، فينظر بنور الله، وأن الله عز وجل يلهم الإنسان الشيء كما قال النبيρ: "إن في الأمم محدثين، وإن يكن في أمتي فعمر"، وأن المراد بالتحديث إلهام الخير، وذكر أن هذا الإلهام إنما هو ثمرة العلم والتقوى، وكانوا يقولون: ما أخلص عبد قط أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

ويصف الشعراني التصوف بأنه عبارة عن علم انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة، فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها.

ونحن لسنا مع مذهب من يرجع المعاني التي تناولها الصوفيون إلى أدب أو تصوف الفرس والهند واليونان مع القرآن والسنة والذوق، ولكننا نقول: إن توافق الأفكار بين شاعر وشاعر وكاتب وكاتب أكثر تبادراً إلى الذهن من محاولة إثبات الأخذ. ولو صح أن صوفيا أخذ معنى حكمة قديمة وعبر عنها بأسلوبه فليس في ذلك ضير لأن الثقافات تتصل في نفس الأديب والشاعر بشعور وبلا شعور، ولأن من طبيعة اختلاف العصور والثقافات أن يأخذ المتأخر من

[Palacios كتابا ضخما عن تأثير أكبر المتصوفين في الديانة الكاثوليكية وهو يوحنا للصليب John of the Cross] في القرن السادس عشر بمعتقدات الطريقة الشاذلية، وأثبت المستشرق الأسباني أن يوحنا كان يستعمل اصطلاحات ومجازات لا يخفى أن منبعها شاذلي أندلسي في القرن الخامس عشر، وذلك لعالم اسمه الوندي يطلب من المريد أعلى درجة أعلى في الإخلاص والإيثار.

SÖZLÜK

يَسُوغُ لَهُ (malum muzari); "kolay olur, izin verir"(س و غ)

إلْمامٌ (masdar); "tanıma, bilme, aşinalık" (ل م م)

عَضُودٌ (isim); "kudretli, kuvvetli" (غ ض د)

بَاشَرَ (fiil/mufâale babı); "doğrudan yapmak"(ب ش ر)

زَجَّ–يَزُجُّ (fiil/sülâsi mücerred/I. bab); "atmak, zorlamak"(ز ج ج)

مُحايِدٌ (ism-i fâil); "tarafsız" (ح ي د)

اِنجَلَى–يَنجَلِي "ortaya çıkmak, belirgin olmak" (sül. mez. humâsi/infiâl); (ج ل ي)

غِمارٌ (isim); "risk, tehlike" (غ م ر)

تَفَرَّعَتْ (sül. mez. humâsi/tefa'ul); "dallanıp budaklanmak, yayılmak"(ف ر ع)

تَطَرُّف (masdar); "aşırılık" (ط ر ف)

أدمَجَ (sülâsi mezid rubâi/if'âl babı); "dâhil etmek"(د م ج)

الزُّمَر (eril/mâzi); "zümreler, sınıflar" (م: زُمرَةٌ) (ز م ر)

النُّسَّاك "zâhitler, münzevi kişiler" (kuralsız çoğul); (م:نَاسِكٌ) (ن س ك)

السَّدَى "defo, bozukluk, çarpıklık" (isim);(س د ي)

اللُّحمَةُ (isim); "kumaştaki motif, atkı" (ل ح م)

مُمَيِّزات (kurallı dişil çoğul); "ayırt edici özellikler, karakteristikler"(م ي ز)

البَدَهِيّ (isim/sıfat); "sezgisel, aşikâr" (ب د ه)

لا نَطرَحُ (menfi muzâri); "bir kenara atmıyoruz, atlamıyoruz"(ط ر ح)

الإيجَازُ (masdar); "veciz/kısa bir şekilde ifade etme"(و ج ز)

الإطنَابُ (masdar); "sözü uzatma" (ط ن ب)

المناقِبُ "menkabeler, kıssalar" (kuralsız çoğul);(ن ق ب)

تَعَرَّضَ لِ (fiil/tefa'ul babı); "girişmek, ilgilenmek, ele almak"(ع ر ض)

يَستَمِدُّ مِن (masdar); "yardım/destek alır, kaynaklanır"(صرف)

نَلمَحُ (malum muzari); "farkında oluruz, farkederiz "(ل م ح)

الطَّرِيفَة (isim/sıfat); "yeni, daha önce bilinmeyen"(ط ر ف)

الضَّيرُ "zarar, yanlışlık, hata" (isim); (ض ي ر)

السِّمَاتُ "özellikler, karakteristikler, nitelikler" (kurallı dişil çoğul); (و س م)

ما أَصغَيتُ إلى "kulak vermedim, dinlemedim" (olumsuz mâzi); (ص غ ي/و)

الحَفِيفُ "hışırtı" (isim); (ح ف ف)

الخَرِيرُ "şarıltı" (isim); (خ ر ر)

التَّرَنُّم "şarkı söyleme, mırıldanma" (isim/masdar); (ر ن م)

التَّنَغُّم "nağme söyleme, mırıldanma" (masdar); (ن غ م)

الدَّوِيّ "çınlama, yankı, eko, akis" (isim); (د و ي)

القَعقَعَة "gürültü" (isim); (ق ع ق ع)

فَرَغَ مِن "bitirmek, tamamlamak" (malum mâzi); (ف ر غ)

الاِستِشعَار "sezme, hissetme" (masdar); (ش ع ر)

المداراةُ "yağ çekme, dalkavukluk" (masdar); (د ر ي)

التَّوفِيَةُ "yerine getirme, ifa etme" (masdar); (و ف ي)

مُتَّسِمٌ "izini taşıyan" (ism-i fâil); (و س م)

طُقوس "ayinler, adetler" (kuralsız çoğul); (ط ق س)

تَجَرَّدَ مِن "soyutlanmak, uzaklaşmak, terketmek" (sül. mez. humâsi/tefa'ul); (ج ر د)

دَرَجَ عَلى "yürümek, uyarınca hareket etmek" (eril/mâzi); (د ر ج)

مُستَمَدٌّ "kaynak" (ism-i mekân/ism-i mefûl); (م د د)

قُدوَة "önder, lider" (isim); (ق د و)

التَّعويل عَلى "dayanmak, itimat etmek" (masdar); (ع و ل)

التَّقَشُّف "züht hayatı yaşamak" (masdar); (ق ش ف)

مُبتَدِع "bidatçi, yenilikçi" (ism-i fâil); (ب د ع)

ضَيَّعَ (fiil/sülâsi mezid rubâi/tef'îl babı); "zayi etmek, ihmal etmek" (ض ي ع)

اِنصَبَّت (fiil/sülâsi mezid humâsi/infiâl babı); "dökülmek, yağmak" (ص ب ب)

يَنابِيعُ (kuralsız çoğul isim); "pınarlar, kaynaklar" (ن ب ع)

اِنقَدَحَ (fiil/sülâsi mezid humâsi/infiâl babı); "tutuşturulmak, çakılmak" (ق د ح)

التَّبادُرُ إلى الذِّهنِ (masdar/kalıp kullanım); "akla gelmek, anlaşılmak" (ب د ر)

ALIŞTIRMALAR

التدريب الأول: أكمل هذه الجمل.

1. من البدهي أننا في حديثنا عن الأدب الصوفي نثره وشعره على السواء لا نغفل خصائص...
   A. الفقه الإسلامي
   B. حدّ اللغة
   C. الأدب العربي
   D. الفكر الفلسفي
   E. علم الكلام
2. كان ممن يعتبرون صوفية في عصر بني أمية وما بعده: الزهاد، و...
   A. التجار والعمال
   B. الأغنياء
   C. الفقراء
   D. الأمراء
   E. العباد، والنساك

التراكيب:

التدريب الثاني: اِخْتَرْ مُرَادِفَ الْكَلِماتِ الَّتي تَحْتَهَا خَطٌّ.

1. وإنما نبحث عن المميزات الأصيلة له، والسمات الواضحة فيه.
   A. العلامات
   B. الصور
   C. الأسُس
   D. الأشكال
   E. الأنواع
2. ما أخلص عبد قط أربعين يوما إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه
   A. طرق
   B. أنهار
   C. منابع
   D. أماكن
   E. سبُل

التدريب الثالث: اِخْتَرْ مُضادَّ الْكَلِماتِ الَّتي تَحْتَهَا خَطٌّ.

1. من ضيّع حدود الأمر والنهي في الظاهر حرِم مشاهدة القلب في الباطن.
   A. أهمل
   B. أهلك
   C. أنكر
   D. أفاد
   E. انتهز
2. ومبنى التصوف الإسلامي الخالص يشترط فيه: أن يكون مؤسَّسا على صريح الكتاب.
   A. المختلَط
   B. الصافي
   C. البيّن
   D. الممتاز
   E. المنسوخ

القواعد:

التدريب الرابع: أَعرِبْ ما تحته خطّ في الجمل التالية.

وما نلمحه فيه من معان فلسفية، وحكم غير عربية حينا، ومن تأثر بالثقافات الدخيلة المترجمة إلى العربية حينا آخر(III) فإنما ذلك إلى ثقافات الصوفيين التي كانوا يقرأونها، وإلى نفس المتصوف وحده(IV) وظلّت أكثر الشعوب على مدى العصور لا تكتب(V) وليس لذلك من أثر في الأدب الصوفي إلا اتساع المعاني أمامه

I.A

II.B

III.C

IV.D

V.E

1. وقد نشأ فن علمي جديد سمي فن المناقب، وقد ذاعت كتب المناقب ذيوعا كبيرا.
   A. صفة
   B. مفعول به
   C. تمييز
   D. مفعول مطلق
   E. تمييز
2. ولا نستبعد في الوقت نفسه أن يدخل على التصوف الإسلامي بعض التصوف الأجنبي.
   A. خبر
   B. مضاف إليه
   C. فاعل
   D. مفعول به
   E. حال
3. ولكن لأن هذه الأمور معروفة من دراسة الأدب العربي بمعناه العام، فسوف لا نعرض لها.
   A. خبر
   B. صفة
   C. اسم أن
   D. مفعول به
   E. خبر إن

الفقرات:

التدريب الخامس: اختر الجملة الغريبة في الفقرة التالية

(I) ولا شك أن الأدب الصوفي في أكثره أدب يعبر عن الإسلام ويستمد منه ويرجع إليه (II)